الأمام السجاد عليه السلام

في مواجهة تطويق أثر النهضة الحسينية

يبحث هذا الكراس ممارسات الامويين في القضاء على آثار النهضة الحسينية وجهود الامام السجاد عليه السلام في الوقوف أمامها

منبر ومحراب جامع بني أمية الكبير قبل ١٨٩٣م - صورة من كتاب "المعمارة بين الشرق والغرب" الصادر عام ١٩٠٥ لمؤلفه Phené Spiers

تأليف: د. السيد حسين البدري

إصدارات مركز فجر عاشوراء الثقافي - التابع للعتبة الحسينية المقدسة
١٤٤٥-٢٠٢٣هـ

مركز فجر عاشوراء الثقافي

التابع للعتبة الحسينية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية

العراق - النجف الأشرف
حي الغدير
هاتف : ٩٦٤٧٧٢٨٢٢٠٥٤٣+
fajrashura@fajrashura.com

عنوان الإصدار	:	الإمام السجاد عليه السلام في مواجهة تطويق اثر النهضة الحسينية
تاليف	:	د. السيد حسين البدري
سنة الإصدار	:	٢٠٢٣/١٤٤٥
نوع الإصدار	:	إلكتروني - PDF
الناشر	:	مركز فجر عاشوراء الثقافي
الموقع	:	fajrashura.com

جميع الحقوق محفوظة © لمركز فجر عاشوراء الثقافي، يُسمح بالنَّشر غير النفعي الالكتروني ويسمح بالاقتباس مع ذكر المصدر ولا يسمح بتغيير جزء من اجزاء هذا الملف او طباعته في المطابع دون اذن رسمي من المركز

من خطبة الإمام زين العابدين عليه السلام في الجامع الأموي بدمشق:

«أيّها الناس، أُعطينا ستّا، وفضّلنا بسبع، أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضّلنا بأنّ منّا النبي المختار محمّدا ، ومنّا الصدّيق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسد الله وأسد الرسول، ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنّا سبطا هذه الأُمّة، وسيّدا شباب أهل الجنّة. فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي:

أنا ابن مكّة ومنى. أنا ابن زمزم والصفا... أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، ...، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن عليّ المرتضى... أنا ابن فاطمة الزهرا... أنا ابن الحسين القتيل بكربلا، أنا ابن المرمّل بالدما...»

من خطبة الامام زين العابدين عليه السلام عند رجوعه الى المدينة:

«إن الله تعالى ابتلانا بمصائب جليلة،

وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبدالله، الحسين، وعترته، وسبيت نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية...»

المُحتَوَيَاتْ

المقدِّمة ٥

تمهيد ٧

النَّهضة الحسينيَّة ١٠

جهود بني أمية الإعلامية في تطويق النهضة الحسينية..... ١٣

جهود الإمام السجاد عليه السلام في مواجهة أعلام بني أمية..... ١٩

خاتمة البحث ٣١

المصادر والمراجع ٣٣

المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

يلعب الإعلامُ دوراً كبيراً في تغيير وجهات النَّظر وإشاعة المفاهيم والتصورات تجاه الأحداث أو الأفراد أو الجماعات أو غير ذلك، فهو يضطلع بتوجيه عقول الناس وميولاتهم، فالفرد بحكم انتسابه ووجوده في مجتمع معين سوف يكون محاط بما يمليه إعلام ذلك المجتمع من رؤى وتصورات تتعلق بالجانب الثقافي والفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي وغير ذلك.

فالإعلام يكون إيجابياً ويحقق خدمات كبيرة؛ حين يتبنى إشاعة المفاهيم الصحيحة ويعتني بتقديم التَّصورات الصالحة والواقعية للأفراد ويساهم في استقرار المجتمع والصالح العام. ويكون سلبياً مضللا ويهدِم المجتمع؛ حين يتبنَّىٰ

إشاعة الجهل والخرافة والباطل ويعتني بتقديم التصورات الزائفة والمشوشة.

يحاول هذا البحث تسليط الضوءَ على الممارسات الإعلاميَّة للدولة الأموية في القضاء على أثر نهضة الإمام الحسين عليه السلام الإصلاحيَّة في المجتمع الإسلامي بعد شهادته منتصف القرن الأول الهجري، فقد شكَّلت هذه النَّهضة المباركة ثورة ثقافيّة فكريّة اجتماعيّة سياسية لإنقاذ المسلمين من العمى والارتياب في الإسلام ومفاهيمه ورموزه.

وتحاول هذه الصفحات أيضا تتبُّع جهود الإمام السَّجاد عليه السلام في الوقوف أمام الإعلام الأموي المضلل لتطويق آثار نهضة سيد الشهداء عليه السلام في المجتمع بعد شهادته.

تمهيد

قامَ الأمويون بعِدَّة إجراءات تنبئ عن إدراكهم العميق للآثار التي سوف تتركها نهضة سيد الشهداء عليه السلام في الأمة الإسلامية على أطروحتهم المنحرفة عن تعاليم وقيم الإسلام الحنيف.

لقد قامت أسس المشروع الأموي[1] على:

١. ادعاء أن بني أمية خلفاء الله في أرضه وانهم أولياءه الذين تجب طاعتهم وأنها من أعظم القربات إلى الله تعالى، وان مخالفتهم أعظم المعاصي، وأولهم معاوية بن أبي سفيان ثم ابنه يزيد ثم من بعده ذريته، وحاولوا إقناع الناس بطريقين:

الأول: وضع أحاديث على لسان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ترفع من شأن الخليفة الأول والثاني والثالث ومن بعدهم معاوية وابنه يزيد باعتبارهما امتدادا للخلفاء.

والثاني: إشاعة عقيدة الجبر أن كل ما يجري

---

(١) مؤسس هذه الأطروحة وباني بنيانها هو معاوية بن أبي سفيان منذ ان ولّاه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وتبلورت هذه الأطروحة وبرزت في المجتمع بعد ان بايع المهاجرون والأنصار الإمام علي عليه السلام، وقام معاوية بالبغي واقتطاع الشام لنفسه، وظهرت معالمه واطره للعلن بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام.

على الفرد أو الأمة فهو مكتوب من الله وليس للناس في ذلك إرادة ولا اختيار، وان وجود بني أمية في الحكم هو قضاء الله وقدره.

٢. تربية الأمة والنَّشء الجديد يعلى البَراءة من الإمام علي عليه السلام ولعنه على انه ألحد في الدِّين؛

وقد وَضَعوا أحاديثاً وأخباراً قبيحة في الإمام علي عليه السلام تبرر وتدعم هذه التربية، واضطهدوا كل من يروي أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام، وكان اعظم الناس بلاءً في ذلك هم شيعة الإمام علي عليه السلام لاسيما في الكوفة.(١)

وقد أصبحت الثَّقافةُ الدِّينيةُ المتبناة من قبل الدولة الأموية والتي تربّى عليها الشباب والجيل الصاعد منذ سنة ٥٠ هجرية تدعوا إلى تَوليّ بني أمية بصفتهم خلفاء الله، والبراءة من علي عليه السلام وتحقير شيعته ورواة أحاديث النبي صلى الله عليه وآله فيه.

وقد جاء إعلان البيعة ليزيد في حياة معاوية سنة ٥٦ هجرية تكريساً لهذه الأطروحة الجديدة في المجتمع.

---

(١) انظر: ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة ج١١ ص٤٤. قال: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عُمَّاله بعد عام الجماعة: أن برئت الذمَّة ممَّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته. فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليّاً عليه السلام ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته».

وهو كما قال النبي ﷺ «يُوشِكُ أَن يَأتِيَ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبقَى مِنَ الإِسلَامِ إِلَّا اسمُهُ، وَلَا يَبقَى مِنَ القُرآنِ إِلَّا رَسمُهُ، مَسَاجِدُهُم عَامِرَةٌ وَهِيَ خَرَابٌ مِنَ الهُدَى، عُلَمَاؤُهُم شَرُّ مَن تَحتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ من عِندَهُم تَخرُجُ الفِتنَةُ وَفِيهِم تَعُودُ».[1]

وقد أورد السيوطي في قوله تعالى ﴿وَإِذ قُلنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلنَا الرُّءيَا الَّتِي أَرَينَاكَ إِلاَّ فِتنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ المَلعُونَةَ فِي القُرآنِ وَنُخَوِّفُهُم فَمَا يَزِيدُهُم إِلاَّ طُغيَاناً كَبِيراً﴾[2] وأخرج ابن أبي حاتم، عن يعلى بن مُرَّة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أُريتُ بني أُمية على منابر الأرض، وسيمتلّكونكم؛ فتجدونهم أرباب سوء».[3]

فما رؤي رسول الله ﷺ مستجمعا ضاحكاً بعد ذلك حتى مات.[4]

---

(١) الكليني، الكافي ج٨ ص٣٠٨، وعبد الله بن عدي الجرجاني، الكامل، ج٤ ص٢٢٨. عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) سورة الإسراء-٦٠.

(٣) السيوطي، الدُّرُّ المنثور، ج٤ ص١٩١.

(٤) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٥ ص٢٤٣.

النَّهضة الحسينيَّة

جاءت نهضة سيد الشهداء عليه السلام ورفضه لبيعة يزيد والتحرك نحو العراق للوقوف بوجه أطروحة بني أمية المحرِّفة للدين، فالإمام الحسين عليه السلام هو سبط النبي صلى الله عليه وآله وبقية أصحاب الكسا وأحد أفراد آية المباهلة والتَّطهير الذين شبههم النبي صلى الله عليه وآله بسفينة نوح وكان يمتلك مكانة كبيرة لدى الكثير من المسلمين لما انتشر من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في منزلته في أيام صلح الإمام الحسن عليه السلام، وله قاعدة شعبية واسعة في الكوفة محصتهم التَّجارب والمحن ودفعوا الثمن غاليا لأجل الثبات على حب علي عليه السلام وإمامته، هذا إضافة إلى أن النبي صلى الله عليه وآله قد اخبر بشهادته ونزاهة حركته وقيامه لله تعالى، لذا فان بقية الصالحين من جيل الصحابة والتابعين كانت تتطلع إلى موقفه وحركته لمواجهة ضلال بني أمية.

وقد أوضح سيد الشهداء عليه السلام الموقف الفكري والشرعي والاجتماعي إزاء بني أمية وانه الرفض، وقد ثبت عليه السلام على موقفه وبذل مهجته الشريفة دونه، فأصابه من ذلك المحن والمصائب العظام، «حَتَّى نَكَّسُوكَ عَن جَوَادِكَ، فَهَوَيتَ

إلى الأرضِ جَرِيحاً، تَطَأُكَ الخُيولُ بِحَوَافِرِهَا، وَتَعلُوكَ الطُّغَاةُ بِبَوَاتِرِها، قَد رَشَحَ لِلمَوتِ جَبِينُكَ، واختَلَفَتَ بالانقِبَاضِ والانبِسَاطِ شِمَالُكَ وَيَمِينُكَ، تُدِيرُ طَرَفاً خَفِيّاً إلى رَحلِكَ وَبَيتِكَ، وَقَد شُغِلتَ بِنَفسِكَ عَن وُلدِكَ وَأهَالِيكَ».[1]

كانت من اهم آثار نهضة الإمام الحسين عليه السلام:

على الصعيد الفكري: هدمُ البنيان الفكري والديني الزائف الذي صنعه بنو أمية لتثبيت سلطانهم، وان الدين يدعو إلى رفضهم وإزالتهم.

على الصعيد الاجتماعي: تبلور الموقف الشرعي الإسلامي لمن أراد أن يتحرك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن خلال نظرة سريعة إلى أحداث ما بعد عاشوراء سنة ٦١هـ نرى ثورة أهل المدينة سنة ٦٣هـ وابن الزبير ٦٤هـ وسليمان بن صرد الخزاعي ٦٥هـ والمختار ٦٦هـ وزيد بن علي عليه السلام الشهيد ١٢٢هـ وغيرها.

على صعيد انتشار الحديث: حيث حققت النهضة الحسينية كسر الطوق الذي فرضه بنو أمية أمام انتشار أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام،

(١) الزيارة المعروفة بالناحية.

هذه الأحاديث تأسس الولاية لهم والبراءة من أعداءهم، وذلك بعد أن تزلزلت القبضة الحديدية للدولة الأموية على الأمصار حين اقتتل أهل الشام بعد موت يزيد وخرج ابن الزبير وغيره وحدث جواً من الانفلات لمدة عشرين سنة تنفس فيه حملة الحديث الصعداء ونقلوا ما يحملونه إلى الجيل الجديد واستمر ذلك حتى سنة ٨٣هـ حين قضى عبد الملك على تمرد محمد ابن الأشعث واحكم سيطرته على الدولة.[١]

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ترجمة ابن الأشعث.

جهود بني أمية الإعلامية في تطويق النهضة الحسينية

لقد قامَ بنو أمية بِعدَّةِ إجراءات لمواجهة آثار نهضة سيد الشهداء عليه السلام:

أولا: إشاعة مفهوم تخطئة نهضة الحسين عليه السلام على أنها ضمن الخوارج الذين مرقوا عن الدين وذمهم النبي صلى الله عليه وآله، وأنه خرج على إمام زمانه وقتل بسيف جده.

ذكر الخوارزمي: «أنّ يزيد أمر بمنبر وخطيب، ليذكر للناس مساويء الحسين وأبيه علي عليه السلام، فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وأكثر الوقيعة في عليّ والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد.

فأقبلت عليه سكينة، و قالت: ويلك يا يزيد! وأيّ مساوئ لأبي و جدّي؟ فقال لها: اسكتي يا ابنة الخارجيّ.[1]

فصاح به (بالخطيب) علي بن الحسين: ويلك أيّها الخاطب! اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق؟ فتبوّأ مقعدك من النار.

ثم قال: يا يزيد، إئذن لي حتى أصعد هذه

(١) البهبهاني، الدّمعة السّاكبة، ١١٥/ ٥-١١٧.

الأعواد، فأتكلّم بكلمات فيهنّ لله رضا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب. فأبى يزيد، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، ائذن له ليصعد، فلعّلنا نسمع منه شيئا. فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلاّ بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان». [1]

ثانيا: ومن اجل نشر وتثبيت مفهوم تخطئة الخروج بالغوا في التنكيل والتمثيل بجسده الطاهر وبأجساد أصحابه بعد جريمة القتل، وقد تمثل ذلك بقطع الرؤوس وحملها في الأمصار وسبي عياله الحسين عليه السلام من بلد إلى بلد وإدخالهم في بلاط الدولة بهيئة الأسارى من اجل تحقيرهم وإذلالهم أمام الناس، والهدف تركيز مفهوم التخطئة.

قال الدينوري: «وأقام عمر بن سعد بكربلاء بعد مقتل الحسين يومين، ثم آذن في الناس بالرحيل، وحملت الرؤوس على أطراف الرماح، وكانت اثنين وسبعين رأسا، جاءت هوازن منها باثنين وعشرين رأسا، وجاءت تميم بسبعة عشر

---

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج٢ ص٦٩-٧١، ونقل عن كتاب (كامل البهائيّ) بنص متقارب نقله الحائري في بلاغة علي بن الحسين عليه السلام ص ١٠٦-١٠٩ ونقل بعده نصّا آخر للخطبة عن أبي مخنف فليلاحظ.

رأسا مع الحصين بن نمير، وجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا مع قيس بن الأشعث، وجاءت بنو أسد بستة رؤوس مع هلال الأعور، وجاءت الأزد بخمس رؤوس مع عيهمة بن زهير، وجاءت ثقيف باثني عشر رأسا مع الوليد بن عمرو.

وأمر عمر بن سعد بحمل نساء الحسين وأخواته وبناته وجواريه وحشمه في المحامل المستورة على الإبل. وكانت بين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قتل الحسين خمسون عاما.

قالوا: ولما أدخل رأس الحسين عليه السلام على ابن زياد فوضع بين يديه جعل ابن زياد ينكت بالخيزرانة ثنايا الحسين، وعنده زيد بن أرقم، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم» وذكر القصة.[1]

ثالثا: نسبة الجرائم التي قامت بها الدولة الأموية بحق سيد الشهداء عليه السلام من القتل والتَّنكيل إلى الله تعالى وان ذلك نصر مُؤزَّر منه لبني أمية بصفتهم خلفاء الله وانه لا خبر جاء ولا وحي نزل في آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله.

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، ص ٢٥٩.

ذكر الشيخ الصدوق في أماليه: «إن ابن زياد (لعنه الله) دعا بعلي بن الحسين عليه السلام والنسوة، وأحضر رأس الحسين عليه السلام، وكانت زينب بنت علي عليه السلام فيهم، فقال ابن زياد: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم، وأكذب أحاديثكم. فقالت زينب: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد وطهرنا تطهيرا، إنما يفضح الله الفاسق ويكذب الفاجر.

قال: كيف رأيت صنع الله بكم أهل البيت؟

قالت: كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتتحاكمون عنده. فغضب ابن زياد (لعنه الله) عليها».[1]

رابعا: وتثبيتا لمفهوم النصر الإلهي لبني أمية اتخذوا من يوم عاشوراء يوم عيد وفرح وسرور تُجرى فيه شعائر الشكر والسرور، وقد استمر هذا الأمر طيلة مدة بقاء الدولة الأموية. ووضعوا الأحاديث في استحباب صوم يوم عاشوراء وانه يوم نصر فيه الله أنبيائه نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام و.. وهذه الشعيرة والبدعة الأموية جاءت خلافا لرسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول: «مَن أحَبَّ الحسنَ والحُسَينَ فقد أحَبَّني، ومَن أبغَضَهُما

(١) الصدوق، الأمالي، الصفحة ٢٢٩.

فقد أبغَضَني»[1] وقوله ﷺ: «الحسنُ والحُسينُ سيِّدَا شبابِ أهلِ الجنةِ».[2]

قال أبو ريحان البيروني وهو من أعلام القرن الخامس: «واليوم العاشر منه (أي المحرم)، يسمّى عاشوراء... وكانوا يعظّمون هذا اليوم، إلى أن اتّفق فيه: قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب بالطفّ، مع أهل بيت رسول الله، من آل أبي طالب عليهم السلام أجمعين؛ وفعل به وبهم، ما لم يفعل في جميع الأمم بأشرار الخلق، من القتل بالعطش والسيف والإحراق بالنّار، وصلب الرؤوس، وإجراء الخيول على الأجساد المؤرّبة، وهتك الستر بسبي النساء والأطفال، وحملهم مشهرين على الجمال، فتشاءموا به.

فأمّا بنو أميّة، فقد لبسوا فيه ما تجدّد، وتزيّنوا، واكتحلوا، وعيّدوا، وأقاموا الولائم والضيافات،

---

(١) أخرجه النسائي في (السنن الكبرى) (٨١٦٨)، وابن ماجه (١٤٣) واللفظ له، وأحمد (٧٨٧٦) وغيرهم بأسانيد قوية وحسنة.

(٢) رواه الترمذي (٣٧٦٨)، وأحمد (٣/ ٣) (١١٠١٢)، والحاكم (٣/ ١٨٢)، والطبراني (٣/ ٣٨). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث قد صح من أوجه كثيرة وأنا أتعجب أنهما لم يخرجاه. وقال الهيثمي في (مجمع الزوائد) (٩/ ٢٠٤): رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح. وقال الألباني في (صحيح سنن الترمذي): صحيح.

وطعموا الحلاوى والطّيّبات؛ وجرى الرسم في العامّة، على ذلك أيّام ملكهم، وبقي فيهم بعد زواله عنهم.

وأمّا الشيعة، فانّهم ينوحون، ويبكون أسفا لقتل سيّد الشهداء فيه؛ ويظهرون ذلك بمدينة السلام، وأمثالها من المدن والبلاد؛ ويزورون فيه التربة المسعودة بكربلا، ولذلك كره فيه فعل العامّة، من تجديد الأواني والأثاث».[1]

ومن المؤكد ان ما أسسه بنو أمية من المفاهيم والشعائر يوم عاشوراء بعد قتل الحسين عليه السلام قد استمرت إلى يومنا هذا في قليل أو كثير.

(١) أبو ريحان البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص ٤٦٠.

جهود الإمام السجاد عليه السلام في مواجهة أعلام بني أمية

والسؤال: هل ترك أئمة أهل البيت عليهم السلام بنو أمية وتطويقهم لآثار نهضة الحسين عليه السلام وخروجه؟

بالتأكيد لا، لما للإعلام الكاذب من أثر كبير على تزوير الحقائق وتشويهها.

حيث كان الإمام السجاد عليه السلام هو أول من تصدى للمواجهة، عن طريق:

١. إقامة العزاء والبكاء على أبيه الإمام الحسين عليه السلام وتجييش العواطف كممارسة دينية تستوجبها الظلامة التي أصابت سيد الشهداء عليه السلام بوصفه احد الأفراد الذين جعلت مودتهم أجراً لأتعاب النبي صلى الله عليه وآله في تبليغ الرسالة وإخراج الناس من الظلمات إلى النور ﴿قُل لا أَسئَلُكُم عَلَيهِ أَجراً إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُربى﴾ الشورى/ ٢٣ وبوصفه شهيدا مظلوما سفك دمه في سبيل الدعوة إلى الله وإحياء دينه ومواجهة الطاغوت، وإقامة العزاء والبكاء كان من جملة اهم أهدافه إبراز القراءة الصحيحة لنهضة الإمام الحسين عليه السلام وشهادته وهي التصويب بدل مفهوم التخطئة الذي تبنته الدولة الأموية وان

قتل الإمام الحسين عليه السلام مصيبة جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة.

فقد بكى الإمام السجاد عليه السلام على أبيه الحسين عليه السلام طيلة بقية حياته. وقد استمر على ذلك بقية أولاده المعصومين عليهم السلام وبينوا شعائر الحزن خصوصا يوم عاشوراء، واستحباب زيارة الحسين عليه السلام وفضلها وثوابها وكيفيتها.

فعن الصادق عليه السلام: «بكىٰ جدي عليُّ بن الحسين عليه السلام علىٰ أبيه عشرين سنة، ما وُضِعَ خلالها بين يديه طعام أو ماء إلّا بكىٰ، فقال له أحد مَواليه يوماً: جُعلت فداك يا ابن رسول الله، إنّي أخاف أن تكون من الهالكين! فقال: إنّما أشكو بثّي وحزني إلىٰ الله، وأعلم ما لا تعلمون».[1]

وقال له مولى آخر في يوم آخر: «أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقلّ؟ فقال عليه السلام: ويحك إنّ يعقوب النبي كان له اثنا عشر ولداً، فغيّب الله واحداً منهم، فابيضت عيناه عليه من كثرة البكاء واحدودب ظهره... وأنا نظرتُ إلى أبي وإخوتي

(١) الصدوق، الخصال، ص٢٨٧، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤٠٣، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري. وابن كثير، البداية والنهاية، ج١ ص٢٤٦، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٨.

وعمومتي وسبعة عشر شاباً من بني عمومتي مجزرين أمامي كالأضاحي.. ونظرت إلىٰ عمّاتي وأخواتي هائمات في البراري وهنّ يستغثن ويندبن قتلاهن... ».

وجاء عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام أيضاً أنّه قال: «البكاؤون خمسة آدم ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين».[1]

وتحدّث المؤرخون عن بكائه عليه السلام الكثير الكثير، حتى قيل أنّه ما رأى جزاراً يذبح شاة حتىٰ يدنو منه ويسأله هل سقاها ماءً وحين يقال له نعم، يبكي ويقول: «لقد ذُبح أبو عبدالله عطشاناً».[2]

٢. تنبيه طوائف من المجتمع وخصوصا الشامي الذين جهلوا منزلة الحسين عليه السلام الإلهية وحديث النبي صلى الله عليه وآله فيه وتجرؤا على شتمه والوقيعة فيه وفي أهل بيته على أن عملهم وفق ما تريده السلطة الأموية وليس من الإسلام في شيء.

جاء في بعض المصادر الحديثية «لما أُدخل النساء والسبايا دمشق بالنهار مُكشَّفات

(١) الشيخ الصدوق، الخصال، ص٢٨٦.
(٢) السيد ابن طاووس، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف ٢٠٩.

الوجوه، فقال أهل الشّام الجفاة: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء، فمن أنتم؟

فقالت سكينة بنت الحسين عليه السلام: نحن سبايا آل محمد.

فأُقيموا على دُرج المسجد حيث يُقام السَّبايا، وفيهم عليُّ بن الحسين عليه السلام، وهو يومئذ فتى شاب، فأتاهم شيخ من أشياخ أهل الشام، فقال لهم: الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرن الفتنة. فلم يأل عن شتمهم، فلما انقضى كلامه.

قال له علي بن الحسين عليه السلام: أما قرأت كتاب الله عز وجل؟ قال: نعم. قال: أما قرأت هذه الآية (قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى)؟ قال: بلى. قال: فنحن أولئك. ثم قال: أما قرأت (وآت ذا القربى حقه)؟ قال: بلى. قال: فنحن هم. قال: فهل قرأت هذه الآية: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)؟ قال: بلى. قال: فنحن هم. فرفع الشامي يده إلى السماء، ثم قال: اللهم إني أتوب إليك. ثلاث مرات، اللهم إني أبرأ إليك من عدو آل محمد، ومن قتلة أهل بيت محمد، لقد قرأت القرآن فما

شعرت بهذا قبل اليوم».[1]

وأيضا خطبته المهيبة في الشام بمحضر يزيد حين أمر خطيبا يصعد المنبر وينال من الحسين عليه السلام ويمدح بني أمية والتي ذكرها الخوارزمي، يقول فيها عليه السلام:

«أيّها الناس، أُعطينا ستّا، وفضّلنا بسبع، أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضّلنا بأنّ منّا النبي المختار محمّدا صلى الله عليه وآله، ومنّا الصدّيق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسد الله وأسد الرسول، ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنّا سبطا هذه الأُمّة، وسيّدا شباب أهل الجنّة. فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي: أنا ابن مكّة ومنى. أنا أبن زمزم والصفا... أنا ابن من أُسري به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى... أنا ابن من بلغ به جبرائيل الى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنى فتدلّى فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى، أنا ابن من صلّى بملائكة السما، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن عليّ المرتضى... أنا

(١) الأمالي، الشيخ الصدوق، ص ٢٣٠.

ابن فاطمة الزهرا... أنا ابن الحسين القتيل بكربلا، أنا ابن المرمّل بالدما».[1]

وعندما رجع عليه السلام إلى المدينة أرسل بشر بن حذيم إلى المدينة وأهلها ناعيا الحسين عليه السلام ومعرفا إيّاهم بمكان الإمام السجاد عليه السلام. قال بشر: فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلاّ برزن من خدورهن... فلم أر باكيا أكثر من ذلك اليوم، ولا يوما أمرّ على المسلمين منه.

قال: فخرج علي بن الحسين، ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسيّ، فوضعه له وجلس عليه، وهو لا يتمالك عن العَبرة، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء، وحنين النسوان والجواري، والناس يعزّونه من كل ناحية، فضجّت تلك البقعة ضجّة واحدة، فأومأ بيده: أن اسكنوا، فسكنت فورتهم، فقال:

«الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، بارىء الخلق أجمعين، الذي بعد فارتفع في السماوات العلا، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل

(١) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام ج ٢ ص ٦٩.

الرزء، وعظيم المصائب الفاظعة، الكاظّة، الفادحة الجائحة.

أيّها القوم! إن الله تعالى ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قتل أبو عبدالله، الحسين، وعترته، وسبيت نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيها الناس! فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟ أم أيّ فؤاد لا يحزن من أجله؟ أم آية عين منكم تحبس دمعها، وتضنّ عن أنهمالها؟

فلقد بكت السبع الشداد لقتله! وبكت البحار بأمواجها! والسماوات بأركانها! والأرض بأرجائها! والأشجار بأغصانها! والحيتان في لجج البحار! والملائكة المقرّبون! وأهل السماوات أجمعون!

أيّها الناس! أصبحنا مشرّدين، مطرودين، مذودين، شاسعين عن الأمصار، كأنّنا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إن هذا إلاّ اختلاق.

والله! لو أنّ النبيّ تقدّم إليهم في قتالنا، كما

تقدّم إليهم في الوصية بنا، لما زادوا على ما فعلوا بنا.

فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، وافجعها، وأكظها، وأفظعها، وأمرّها، وأفدحها! فعنده نحتسب ما اصابنا، فإنّه عزيز ذو انتقام».[1]

٣. التصدي لمفهوم وعقيدة الجبر التي أشاعها بنوا أمية والتي سادت في المجتمع وأخذت مأخذها بين المسلمين، وكان من أخطر ما روّجه الأمويون بين المسلمين وأكّدوا على إشاعته هو فكرة «الجبر»، وان ما يجري على الفرد أو الأمة فهو من الله وليس للناس في ذلك إرادة واختيار. وأول من روَّج لهذه الفكرة معاوية بن أبي سفيان، وكان يقول في خطبه: «لو لم يَرني الله أهلا لهذا الأمر ما تركني وإيّاه ولو كره الله تعالى ما نحن فيه لغيّره». وأيضا: «أنا عامل من عمّال الله أُعطي من أعطاه الله وأمنع من منعه الله ولو كره الله أمرا لغيّره». فأنكر عليه عُبادة بن الصامت وغيره من الصحابة. نقله ابن المرتضى وقال: هذا

(١) السيد ابن طاووس، اللهوف، ص١١٧، أنوار الهدى – قم، ايران ١٤١٧ هـ.

صريح الجبر.[1]

وجاء في كتاب المغني للقاضي عبد الجبار: «أظهر معاوية ان ما يأتيه بقضاء الله ومن خلقه، ليجعله عذرا في ما يأتيه ويوهم أنه مصيب فيه، وأن الله جعله إماما وولاّه الأمر، وفشا ذلك في ملوك بني أمية»[2]. وقد رَدَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام عقيدة الجبر منذ زمن عهد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.[3]

كان الهدف الأساسي من طرح فكرة الجبر إقناع الناس أو إسكاتهم حول شرعية وجود الأمويين في الحكم وتسلطهم مع ما لهم من السابقة الواضحة في حرب النبي صلى الله عليه وآله.

وجرياً على فكرة الجبر التي أسس لها معاوية حاولت الدولة الأموية بقيادة يزيد وأجهزتها تغطية جريمتها النكراء في قتل الحسين عليه السلام بهذه العقيدة، فطرحوا فكرة ان الله هو من قتل الحسين عليه السلام ونصر يزيد بن معاوية، وقد تصدى

---

(١) أحمد اليماني، المنية والأمل في شرح الملل والنحل، ص٨٦.
(٢) انظر: القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، ج٢ ص٤٦. راجع أيضا: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، لابي ريّان ص١٤٨-١٥٠.
(٣) الطبرسي، الاحتجاج، ص٢٠٨، في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام.

الإمام السجاد عليه السلام بشكل واضح وجريء:

أولا: بوجه خاص حين أجاب عن شبهات ومقولات ابن زياد وكذلك شخص يزيد بن معاوية في بلاطه.

ذكر الطبري: لما جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله ثم دعا بعلي بن الحسين [عليه السلام] وصبيان الحسين ونساءه فأدخلوا عليه والناس ينظرون فقال يزيد لعلي بن الحسين [عليه السلام]: «**يا علي أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت**»، فقال علي [عليه السلام]: «**ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها**».(١)

ان الإمام علي بن الحسين عليه السلام يشير في الجواب إلى حقيقة ان الله تعالى قدَّر للحسين عليه السلام الشهادة واخبر بها أنبياءه وآخرهم نبينا صلى الله عليه وآله في أحاديث كثيرة، إلى جانب الأحاديث في منزلة الحسين عليه السلام الإلهية وانه وأخوه الحسن عليهما السلام سيدا شباب أهل الجنة وانه مطهَّر وانه إمام من الأئمة، ولكن التَّقدير وهذا العلم الإلهي ليس معناه

(١) الطبري، تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٣٥٢.

انه تعالى رضي عن القاتل الشرير الذي جعل نفسه بارتكاب هذه الجريمة في سخط الله تعالى وغضبه واستحق العذاب الأليم ﴿وَمَن يَقتُل مُؤمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾ النساء/ ٩٣.

يبقى علينا توضيح أمر؛ وهو ان آية ﴿وَما أَصابَكُم مِن مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَت أَيدِيكُم وَيَعفُوا عَن كَثِيرٍ﴾ الشورى/ ٣٠ لا تجري في الإمام الحسين عليه السلام لما عُلم من انه عليه السلام من أفراد آية التطهير الذين اذهب الله تعالى عنه الرجس وطهرهم تطهيرا، بل مصيبته عليه السلام جاءت لمكان الابتلاء ﴿وَجَعَلنا مِنهُم أَئِمَّةً يَهدُونَ بِأَمرِنا لَمَّا صَبَرُوا وَكانُوا بِآياتِنا يُوقِنُونَ﴾ السجدة/ ٢٤ كما هو الحال في كل شهيد يضحي بروحه دفاعا عن الإسلام.

ومن قبل يزيد حاول عبيد الله في الكوفة طرح مفهوم الجبر، حيث قال لعلي بن الحسين عليهما السلام: أليس قد قتل الله علي (الأكبر) بن الحسين؟ فقال الإمام عليه السلام: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوتِها﴾، فغضب عبيد الله وقال: وبك جرأة لجوابي، وفيك بقية للردّ عليّ. ثم صعد المنبر، وقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين

وحِزبه.[1]

كان رد الإمام السَّجاد عليه السلام على فكرة الجبر التي طرحها ابن زياد: ان القتل هو ما يفعله الناس وهو اما بحق فيكون عَدلا أو بباطل فيكون جَورا وقد بيَّن الإسلام حدود ذلك، واما الوفاة للأنفس واسترجاعها حين حلول الأجل هو فعل الله تعالى لا غير. وفي حديث رواه الزهري ـ من كبار علماء البلاط الأموي ـ أجاب الإمام زين العابدين عليه السلام عن هذا السؤال: أبِقَدَرٍ يصيب الناس ما أصابهم، أم بعمل؟ أجاب عليه السلام بقوله: إنّ القدَرَ والعمل بمنزلة الروح والجسد... ولله فيه العون لعباده الصالحين. ثم قال عليه السلام: «ألا، من أجور الناس مَنْ رأى جوره عدلا، وعدل المهتدي جورا».[2]

ثانيا: وبوجه عام من خلال إشاعة ثقافة الدعاء ورعاية الحقوق وقد جمعت دعوات الإمام في الصحيفة السجادية وبيانه للحقوق في رسالة الحقوق فان من جملة اهم ما يبلوره الدعاء هو استعانة الإنسان بخالقه من اجل تقويته على

(١) المفيد، الإرشاد، ص٢٤٤.
(٢) الصدوق التوحيد ص٣٦٦.

تحقيق المطالب التي يسعى للحصول عليها وعلى رأسها الصلاح والإصلاح والحياة الكريمة، ورسالة الحقوق تبلور الطريق العملي لبلوغ ذلك، ان سلكه الإنسان باختياره وإرادته، وهذا بحد نفسه يدحض فكرة وعقيدة الجبر التي تسلح بها بنو أمية لقهر الناس وإسكاتهم. وتفصيل ذلك يحتاج فرصة أخرى.

خاتمة البحث

- أحست الدولة الأموية بالخطر الكبير نتيجة نهضة الإمام الحسين عليه السلام.
- ودفعا لهذا الخطر المتمثل بفتح الطريق أمام المسلمين للتغيير وإزالة بني أمية انتهجت الدولة الأموية سياسية إعلامية عدوانية من اجل تطويق النهضة.
- ان الجهود الإعلامية الأموية تبلورت في عدة وسائل وآليات؛ منها:

١. إشاعة مفهوم تخطئة نهضة الحسين عليه السلام بين المسلمين وتربية أجيالهم على ذلك.

٢. المبالغة في التنكيل وحمل الرؤوس والسبي من اجل تدعيم المفهوم السابق.

٣. نسبة الجرائم التي ارتكبها الأمويون إلى الله تعالى وان ذلك من فعله تعالى في إيقاع النكال والخذلان بمن يخرج على الأمويين؛ مشيا على عقيدة الجبر.

٤. تأسيس شعائر الفرح والسرور واتخاذ يوم عاشوراء عيدا، من اجل تربية الجيل الصاعد من الشباب على معاداة الحسين عليه السلام ومن هو على خطه.

- لم يقف الإمام علي بن الحسين عليه السلام دون معالجة ذلك؛ فقد تمثلت جهوده بـ:

١. بتأسيس شعائر الحزن والبكاء على ظلامة الحسين عليه السلام.

٢. التعريف بمنزلة أهل البيت عليهم السلام وقربهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وظلامتهم.

٣. مواجهة عقيدة الجبر التي حاولت الدولة الأموية تغليف جرائمها بها؛ بطريق مباشر من خلال المناقشة والرد؛ وغير مباشر من خلال إشاعة أدعية الصحيفة السجادية.

لقد نجح الإمام زين العابدين عليه السلام في مواجهة الإعلام الأموي الذي حاول تطويق وتشويه النهضة الحسينية من خلال إشاعة

مفهوم تخطئتها. ومن آثار ذلك هو انتشار مفهوم التصويب والتعاطف مع ظلامة الإمام الحسين عليه السلام في الأجيال المتعاقبة واستمرار الأئمة من ذرية الإمام علي بن الحسين عليه السلام على توعية الأمة الإسلامية حول أبعاد هذه الجريمة النكراء وتأسيس وإرساء شعائر الحزن والبكاء التي لعبت دورا كبيرا تقويض الأطروحة الأموية وامتداداتها وآثارها في مختلف الميادين.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن الاثير، الكامل في التاريخ، دار الصادر ـ بيروت ١٩٦٥م.

٢. ابن كثير، البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ١٤٠٨هـ.

٣. أبو ريحان البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، ميراث مكتوب، ١٣٨٠ه.ش.

٤. أحمد اليماني، المنية والأمل في شرح الملل والنحل، مؤسسة الكتاب الثقافية ١٩٨٨.

٥. تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، لابي ريّان، دار المعرفة الجامعية ـ مصر.

٦. الخوارزمي، مقتل عليه السلام، انوار الهدى ـ قم ١٤٢٣ه.ق.

٧. السيد ابن طاووس، اللهوف، ص١١٧، أنوار الهدى ـ

قم-ايران ١٤١٧هـ.
٨. الشيخ الصدوق، الأمالي، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة ١٤١٧ه.
٩. الصدوق، الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ١٤٠٣هـ، تحقيق: تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري.
١٠. الطبرسي، الاحتجاج، دار النعمان للطباعة والنشر - النجف الأشرف ١٩٦٦م.
١١. الطبري، تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-بيروت-لبنان، ١٤٠٣هـ.
١٢. القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب العدل والتوحيد، الدار المصرية-القاهره، ١٩٦٥م.
١٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، دار الكتب الإسلامية-طهران، ١٣٦٣ه.ش.
١٤. المفيد، محمد بن النعمان، الارشاد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت-لبنان ١٩٩٣م.

❊❊❊

سائر إصداراتنا الالكترونية تجدونها في الموقع

مركز فجر عاشوراء الثقافي
التابع للعتبة الحسينية المقدسة

fajrashura.com